

# كلمات ربي وآياته في القرآن الكريم



أ.د/ أحمد فؤاد باشا (\*)

﴿الْمَحِيضُ﴾

المحيض هو الحيض: الدورة التي ينزل فيها الدم من رحم الأنثى أياماً معلوماً كل شهر تقريباً لمن أدركت البلوغ؛ ولذا سُمِّي أيضاً بالعادة الشهرية. وتبدأ الدورة الحいضية في المرأة عندما تنضج غددها الجنسية، وليس لهذا سنّ زمنية محددة، وإن كانت للأغلبية حول الثانية عشرة، لكن جائز أن تتقدم أو تتأخر في المرأة الصحيحة لسن التاسعة عشرة أو الثامنة عشرة.

وخصائص دم الحيض.

أما كلمة المحيض فتعبر عن الفترة الزمنية لنزول دم الحيض شهرياً، كل ٢٨ يوماً فيما يُسمى بالدورة الشهرية، وتستمر من ثلاثة إلى خمسة أيام أو تزيد، وتتراوح كمية الدم التي تنزل يومياً في المتوسط ما بين ٧٠ سم<sup>٢</sup> إلى ١٠٠ سم<sup>٢</sup>. وتعتبر عملية الحيض من وجهة النظر العلمية والطبية عملية هدم؛ حيث تتأثر خلايا الجهاز التناسلي للمرأة تأثراً سلبياً، وتتأثر صحتها نتيجة لفقد كمية من الدم ونقص نسبة الهيموجلوبين، أما دم الحيض ذاته فليس دمًا عاديًا، وإنما تغلب عليه السيولة وعدم التجلط، وله رائحة خاصة تميزه عن الدم العادي، وهو يخرج من جميع الأوعية الدموية بالرحم، سواء الشرياني منها أو الوريدي،

وفيما جاء به الإسلام من أدب الجماع قوله تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاعْتَزِلُوا مِنَ النِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾  
(البقرة: ٢٢٢)

لا يقتصر الإعجاز في هذه الآية الكريمة على البلاغة ودقة التعبير عن الأمور الجنسية؛ بل إن إعجازها يتجلى فيما تقرره من حقائق كشف عنها العلم الحديث، فما هي الحكمة من تحريم الجماع أثناء الحيض؟ ولماذا كان النهي والنداء موجّهًا للرجال دون النساء؟! للإجابة على ما يعنّ من تساؤلات في هذا المقام يجب أولاً تعريف المحيض

(\*) عميد كلية العلوم سابقاً - جامعة القاهرة.



## كلمات ربي وآياته في القرآن الكريم

الأذى

الرحم التي تحدث أثناء الاتصال الجنسي إلى دخول أجزاء من محتويات تجويف الرحم إلى هذه الأوعية الدموية المفتوحة، ومنها إلى أجزاء الجسم المختلفة حيث تنمو وتسبب أورامًا ينتج عنها نزيف وقت العادة الشهرية، وقد اكتشفت حالات إصابة بالالتهاب البريتوني نتيجة الاتصال الجنسي أثناء الحيض بسبب دخول البكتيريا عن طريق قناتي فالوب إلى داخل الفراغ البطني، ليس هذا فحسب، بل إن الالتهابات قد تمتد إلى قناتي فالوب فتسدّهما أو تؤثر على شعيراتها التي تدفع البويضة من المبيض إلى الرحم، وانسداد قناتي الرحم من الأسباب الرئيسية المفضية إلى العقم أو إلى الحمل خارج الرحم، وهذا من أشد أنواع الأذى؛ لأنه يؤدي إلى انفجار إحدى القناتين أو كليهما، فتسيل الدماء في سرايب البطن وتحدث الوفاة، وقد يمتد الالتهاب من ناحية أخرى، إلى القناة البولية ومنها إلى الجهاز البولي، وهذا أحد أسباب السرطان الذي يلتهم عنق الرحم.

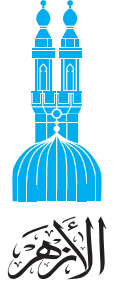
وليس الأذى الذي يصيب الرجل من جراء الاتصال الجنسي أثناء فترة الحيض بأقل من الأذى الذي يصيب المرأة؛ ذلك أن انتقال جزء من دم الحيض غير المتجلط - الذي هو خليط من خلايا بطانة الرحم والدم وإفرازات الغدد، وبه كثير من الجراثيم والميكروبات السببية والعنقودية - إلى القناة البولية في الذكر يسبب حالة تشبه السيلان نتيجة نزول إفرازات كثيرة من فتحة القضيب بصفة مستمرة، ويحدث التهابًا ينتقل إلى البروستاتا والمثانة والحالبين وإلى

مختلطًا بخلايا جدار الرحم المتساقطة وإفرازات الغدد، ودم الحيض بيئة صالحة لتواجد الميكروبات ونموها في المهبل. وفي الأحوال الطبيعية يفرز المهبل إفرازًا حمضيًا خاصًا لتليينه وحمايته وتطهيره من الجراثيم، ومن أهم أسباب التهابات المهبل هو تغير الوسط الحمضي إلى القلوي أو المتعادل بسبب وجود دم الحيض، ويكون الرحم في أضعف حالاته أثناء فترة الحيض نظرًا لتوقف أجهزة المقاومة ونقص المناعة، فتتكاثر الميكروبات وتتكاثر، ومن هنا يكون الأذى الذي نهى القرآن عنه.

وقد تُصاب الأنثى بعُسْر الحيض، وتشعر بصداع شديد وآلام بالثديين واضطراب في المزاج، وعدم رغبة في المعاشرة الجنسية عند المتزوجات، بسبب ما تحدثه من متاعب نفسية وبدنية؛ لهذا حَرَّمَ الله -تعالى- الاتصال بالمرأة جنسيًا أثناء فترة الحيض تقديرًا لحالتها المرضية، ومراعاةً لاستعداد الجسم لخروج البويضة من المبيض تمهيدًا للحمل بخلق جديد، والمباشرة في تلك الحالة انصراف عن الفطرة السليمة النظيفة، ولا تحقق إلا لذة حيوانية لا هدف منها ولا غاية؛ لأن هدف العلاقة الجنسية السليمة هو النسل وامتداد الحياة.

### ﴿هُوَ أَدَى﴾

وهناك صور أخرى للأذى الذي يلحق بالمرأة بسبب الجماع في فترة الحيض، من ذلك أن الأوعية الدموية المبطنّة لجدار الرحم تكون مفتوحة في تلك الفترة، وقد تؤدي انقباضات



حوض الكلى ثم الكلى نفسها، وعند إصابة الحويصلتين المنويتين يتضاعف الألم عند التبول والتغوط (التبرز) وأثناء المشي أو عند الجلوس.

ولما كان الرجل هو العنصر الفاعل غالباً في عملية الجماع، فإن الآية القرآنية الكريمة التي نحن بصدها وجهت النداء للرجال دون النساء، وخاطبت فيهم منطق العقل والتروي وعدم الاستسلام للشهوات والنزوات التي تهيج فيه السعار الحيواني المجنون وتصرفه عن نواميس الفطرة السليمة التي أودعها الله في الإنسان.

وهناك من الأزواج من يعتقد خطأ أن الجماع في يوم التبويض مع بداية نزول الحيض كاف للتغلب على مشكلة عدم الإنجاب، ويعتمدون في ذلك على قياس درجة حرارة الزوجة يومياً وعمل رسم بياني لها لتحديد يوم التبويض الذي ترتفع فيه درجة الحرارة قليلاً. والحقيقة أن العقم له أسباب كثيرة عند الرجل والمرأة على حد سواء.

وهكذا تتجلى لنا روعة الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم منذ نزل به الوحي على خاتم الأنبياء ليضع أصولاً عامة لعلم الطب الوقائي ومحاذير الاتصال الجنسي، وقد تأكد حديثاً أن مرض «الإيدز» القاتل ينتقل أثناء الجماع في فترة الحيض.

لقد أوضحنا حتى الآن مختلف أنواع الأذى الذي يقع على الرجل والأنثى نتيجة الاتصال الجنسي أثناء فترة الحيض، ويكفي أن نذكر هنا بما هو معروف طبيياً من أن دم الحيض عبارة عن سموم ضارة وخلايا بشرية ميتة،

وأن التطهر من دم الطمث ضرورة شرعية وضرورة صحية في الوقت نفسه، فالمسألة الجنسية ليست متروكة للأهواء والانحرافات، وإنما هي مقيّدة بأمر الله - سبحانه وتعالى - لأنها تكليف محكوم بكيفية وحدود، والمباشرة في الطهر تحقق اللذة الطبيعية والغاية الفطرية في آن معاً، فليس الهدف من الجماع هو مطلق الشهوة، وإنما الغرض هو امتداد الحياة بالحلال الذي كتبه الله إلى أن يرث الأرض ومن عليها.

ولا يخفى كذلك ما تتضمنه الآية الكريمة من معانٍ وآداب في التربية الجنسية تهدف إلى تعويد الرجل على الصبر، وتدعو إلى عدم الإسراف في ممارسة الجنس، انطلاقاً من القاعدة الشرعية العامة التي ينص عليها قوله تعالى:

﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

(الأنعام: ١٤١)

فلا يقتصر التوجيه على عدم الإسراف في المال أو الطعام، وإنما يشمل عدم الإسراف في الاستمتاع الجنسي وغيره من أمور الحياة، وقد ثبت علمياً أن الإسراف الجنسي له تأثير ضار على الغدد التناسلية، حيث يسبب الالتهاب الاحتقاني للبروستاتا والحويصلة المنوية، فضلاً عن أنه يؤدي جلد القضيب، ويؤدي إلى ظهور بعض الجروح والتشققات السطحية، وفي بعض الأحيان يؤدي الإسراف في الجماع إلى ظهور المنى المدمم (أي يكون المنى مختلطاً بالدم)، وربما يؤدي أيضاً إلى تجلط الدم في الوريد القضيبى وحدوث ظاهرة الانتصاب





الإعجاز

## كلمات ربي وآياته في القرآن الكريم

الذي يلحق بالمرأة لإحساسها بافتقار حقها الطبيعي في الاستمتاع الجنسي الذي لا يتحقق إلا في المكان الطبيعي الذي جعله الله منبئاً طبيعياً للإخصاب والتكاثر. وصدق الله العظيم حيث يقول:

﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ  
وَقَدِّمُوا لِنَفْسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ  
مُلَكُّوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(البقرة: ٢٢٣)

قال ابن عباس: الحرث موضع الولد. والمقصود من وراء هذا ألا يتحول الجنس إلى متعة هوجاء، وألا يكون هو الغرض الأوحد من أغراض الزواج، فوضع الزواج في الأصل لإنجاب الذرية وإبقاء النوع البشري، ولم تخلق الشهوة الجنسية إلا لتكون باعثة على إتيان الولد.

وهكذا نقف بفضل العلم على حقيقة ما يفرض الله من فروض ليطهر عباده الذين يتوبون حين يخطئون ويعودون إليه متطهرين مستغفرين:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾  
إنه توجيه إلهي في التربية الجنسية، أبرزه الله -تعالى- في حقائق يكتشفها العلم ويدعو إلى الإلمام بمعرفتها. فأية واقعية أصدق وأدق وأشمل مما تنثيره آيات القرآن الكريم للارتقاء بحياة الإنسان، ومن أصدق من الله حديثاً:

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

(الملك: ١٤)

المؤلم المستمر التي تستدعي تدخل الجراحة. كما أن مضاعفات الإسراف في الجماع تسبب الوهن الدائم للجسم، وعدم القدرة على التركيز الذهني، واضطراب الشعور والحواس، وصعوبة الإدراك، وظهور حالة الحيرة والارتباك.

ولعل في كل هذا ما يبين أن الحث على الاعتدال، وعدم الإسراف في جميع الأمور، بما فيها المعاشرة الجنسية، ضرورة يحض عليها الإسلام، ويدعو إليها علم الطب الوقائي، حماية لصحة الإنسان وحيويته.

وتواصل الآية القرآنية الكريمة التي نحن بصدها بيان كيفية المباشرة الجنسية وحدودها، فتدعو إلى إتيان الزوجة في منبت إخصابها، وتحرم إتيانها في دبرها، وقاية من الميكروبات العديدة التي توجد في الشرج، ولا يوجد مثلها في المهبل وهو باب الرحم. وقد أثبتت الدراسات الطبية الحديثة أن انغماس عضو التذكير في فتحة الشرج يعرضه لأمراض خطيرة مثل التهاب مجرى البول، وغالباً ما يتسلل الميكروب إلى البروستاتا، وقد يسبب له العقم.

كما أن الرجل قد يتسبب بدوره في نقل هذه الميكروبات إلى رحم المرأة، ومن ثم قد يتسبب في إصابتها هي أيضاً بالعقم، وفضلاً عن ذلك فإن إتيان المرأة في غير منبت الإخصاب لون من ألوان الشذوذ الجنسي الذي يؤدي إلى فض العلاقة الزوجية، فعضو التذكير في الرجل يتعرض لأمراض تلحق به ضعفاً أدائياً في المجال الجنسي، وشرح المرأة يُصاب بالتشقق والالتهابات التي تؤدي إلى أسوأ العواقب، فضلاً عن الأذى النفسي